كان في مستطاعه أن يسيّر الكون على هواه؟ أجل. إنّه لجدير بالإنسان أن يذكر أبداً أنّه ما من عمل يعمله إلّا ويد الكون تعمل مع يده. وذلك ما عناه السيّد المسيح بقوله: مهما عملتم فقولوا ـ إنّما نحن عبيد بطالون.

ذاك هو الإيمان الذي تدعوكم إليه حياتكم. وهو السلاح الأوحد الذي قهر الزمان حتى الآن. فطوبَى ثمّ طوبَى للمؤمنين!

أمّا أن يقول قائل إنّ إيمان الإنسان بقوى فوق قواه يبعث على الجمود والكسل والتواكل، وعلى الخوف والحيرة والتردّد، وإنّه يخلق شتى الأوهام والترهات والخرافات، فبهتان وزور وهذيان. لئن صحّ مثل ذلك القول في الإيمان الأعمى فهو لا يصحّ في الإيمان المبصر. والإيمان المبصر هو المعرفة ما نبتت قوادمها ولا اشتدّت مخالبها بعد. ولكن مخالبها ستشتد وقوادمها ستنبت فتحلّق في كلّ جوّ لا يصدّها حاجز، ولا تعوقها عواصف.

إنّ ربّاً تخافونه لربّ لا تحبّونه. إذ حيثما حلّ الخوف ارتحلت المحبّة. وحيثما حلّت المحبّة ارتحل الخوف.

وربّ لا تحبّونه كيف تؤمنون به وتعبدونه؟